مكة حرسها الله تعالى/١٤٤٤هـ

سلسلة الرسائل (٢٥)

علامات العلم الذي لا ينفع

للشيخة أم عبد الله بنت الشيخ

مقبل بن هادي الوادعي

حفظها الله تعالى

alwadei967.blogspot.com
telegram.me/alwad3ya

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد:

فلقد فضَّل اللهُ العلم وشرَّفه وشرَّف أهله، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١]، وقال سُبحَانَهُ: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٩﴾ [الزمر: ٩]. وقال سُبحَانَهُ: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ۝٤٣﴾ [العنكبوت: ٤٣].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ۝١١٤﴾ [طه: ١١٤].

ويقول النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ» رواه مسلم (٢٦٩٩) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وروى أحمد (٩/٣٠) من طريق زِرِّ بْنِ حُبَيْشٍ، قَالَ: غَدَوْتُ عَلَى صَفْوَانَ بْنِ عَسَّالٍ الْمُرَادِيِّ أَسْأَلُهُ عَنِ الْمَسْحِ عَلَى الْخُفَّيْنِ، فَقَالَ: مَا جَاءَ بِكَ؟ قُلْتُ: ابْتِغَاءَ الْعِلْمِ، قَالَ: أَلَا

أُبَشِّرُكَ؟ وَرَفَعَ الْحَدِيثَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضًا بِمَا يَطْلُبُ».

في هذه الأدلة الحث على الاهتمام بالعلم النافع، والجد والاجتهاد في تحصيله.

ومن فضل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، أننا نجد في هذه الأزمنة الإقبال على العلم النافع، وخاصة النساء في بعض الأماكن ﴿وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا ٢٠﴾ [الإسراء].

فبفضل الله عَزَّوَجَلَّ نجد إقبالًا من الرجال والنساء على طلب العلم، ولكن النساء في بعض الأماكن إقبالهن على العلم أكثر من الرجال؛ لأن الرجال منهم المشغول، مشغول بالكسب لعياله أو بوظيفة، ولأن العلم يحتاج إلى صبر.

ومن رام العلوم بغير كـــــدٍّ ❁ سيدركها إذا شاب الغراب

وكما قال آخر:

اطلبن ولا تضجرَن من مطلَبٍ ❁ فآفة الطالبِ أن يضجرَا

ألا ترى الحبـل بتكـــرارِه ❁ في الصخرة الصَّماء قد أثَّرَا

وقبل ذلك يقول ربنا عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ٢٤﴾ [السجدة: ٢٤].

وروى مسلم (٦١٢) عن عَبْدِاللهِ بْنِ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: لَا يُسْتَطَاعُ العِلْمُ، بِرَاحَةِ الجِسْمِ.

هذا الأثر رواه الإمام مسلم في كتاب الصلاة، وهذا مشكل؛ الأثر متعلق بالعلم وآدابه، وقد أخرجه الإمام مسلم في كتاب الصلاة، والسبب أن الإمام مسلمًا ذكر طرقًا كثيرة في مواقيت الصلاة، ثم أدرج هذا الأثر؛ لينوِّه أنه ما جاء هذا إلا عن صبر، وأن العلم يحتاج إلى صبر، ولقد تكلم شرَّاح «صحيح مسلم» على هذه المناسبة بما هذا حاصله.

وذكر لنا والدي الشيخ مقبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ ولطلابه في درسه العام: يا أبنائي لو كان العلم يسقى في كأس لأسقيتكموه، ولكن لا يتحصل عليه إلا بحكِّ الرُّكَب على الحصير.

وهذا كمقدمة في مطلعِ هذه الكلمة، وموضوع التذكير: الحذر من علمٍ لا ينفع، من باب قول الشاعر:

عَرَفتُ الشَرَّ لا لِلشَر لَكِن لِتَوَقّيهِ ❁ وَمَن لَم يَعرِفِ الشَر مِنَ الخَيرِ يَقَع فيهِ

ولقد استعاذ النّبيّ ﷺ من علم لا ينفع، فقال: «اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا» رواه مسلم (٢٧٢٢) عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ.

وثبت عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَدْعُو بِهَذِهِ الدَّعَوَاتِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَقَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَدُعَاءٍ لَا يُسْمَعُ، وَنَفْسٍ لَا تَشْبَعُ»، ثُمَّ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَؤُلَاءِ الْأَرْبَعِ»[1].

---

(١) رواه النسائي (٥٤٧٠)، وهو في «الصحيح المسند» (٨٨) لوالدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٢٥/ علامات العلم الذي لا ينفع

قال الإمام الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «نيل الأوطار»(٢/٣٥٨): وَإِنَّمَا قَيَّدَ الْعِلْمَ بِالنَّافِعِ، وَالرِّزْقَ بِالطَّيِّبِ، وَالْعَمَلَ بِالْمُتَقَبَّلِ؛ لِأَنَّ كُلَّ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ فَلَيْسَ مِنْ عَمَلِ الْآخِرَةِ، وَرُبَّمَا كَانَ مِنْ ذَرَائِعِ الشَّقَاوَةِ؛ وَلِذَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَعَوَّذُ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَكُلِّ رِزْقٍ غَيْرِ طَيِّبٍ مُوقِعٍ فِي وَرْطَةِ الْعِقَابِ، وَكُلِّ عَمَلٍ غَيْرِ مُتَقَبَّلٍ إتْعَابٍ لِلنَّفْسِ فِي غَيْرِ طَائِلٍ، اللَّهُمَّ إنَّا نَعُوذُ بِك مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَرِزْقٍ لَا يُطَيَّبُ، وَعَمَلٍ لَا يُتَقَبَّلُ.

فالعلم يكون نافعًا إذا عمل به صاحبُهُ، والرزق يكون نافعًا إذا كان طيبًا، قال تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٥١﴾ [المؤمنون: ٥١]، والعمل الصالح يكون نافعًا إذا تقبله الله عَزَّوَجَلَّ، ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٢٧﴾ [المائدة: ٢٧]، فما كل من تعلم العلم انتفع بعلمه، نسأل الله العافية.

فيجب أن نتفقد أنفسنا، هل نجد علامات العلم النافع عندنا، أم أننا نهرع ونطلب العلم ونجعل العلم وراء ظهورنا، كما قال الله تَعَالَى في أهل الكتاب: ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ وَٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَبِئۡسَ مَا يَشۡتَرُونَ ١٨٧﴾ [آل عمران: ١٨٧]؟

علينا أن نتفقد حالَنا، هل عندنا علامات العلم النافع، أم عندنا علامات العلم الذي لا ينفع؟

إنَّ من علامات العلم الذي لا ينفع صاحبه عند الله: ترك العمل به.

فهؤلاء اليهود يعلَمون، ولكنهم لم يعملوا فصار هذا العلم غير نافع، وصار وبالُهُ عليهم، قال سُبحَانَهُ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۘ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٢٠﴾ [الأنعام: ٢٠].

وقال تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [البقرة: ٨٩]. ﴿يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي: يقولون: سيبعث نبي، ويعرفونه كما يعرفون أبناءَهُم، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩].

وقال تَعَالَى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥﴾﴾ [الجمعة: ٥].

الذي لا يعمل بعلمه، كمثل الحمار يحمل أسفارًا، وهي الكتب الكبار، ولا يدري ما الذي يحمله، فالذي لا يعمل بعلمه يشبه الحمار، وهذا فيه ذم لمن يعرف ويعلم ولا يعمل بعلمه، هذا ذكره الله عَزَّوَجَلَّ على سبيل الذم والتوبيخ، كما أن الآية فيها الحث على فهم العلم؛ لأن الحمار يحمل العلم العظيم في الكتب، ولا يفهم ما فيها.

فالآية تدل على التفهُّمِ، ما يكون حفظ ويمشي من غير فهم، نسأل الله أن يفقهنا في دينه.

هذه الأدلة فيها: أن الذي لا يعمل بعلمه لا يكون علمه نافعًا.

وقد ذكر ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أقسام الصالحين إلى ثلاثة أقسام، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ ۖ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۖ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾ [فاطر: ٣٢]. القسم الأول: ظالم لنفسه، أي: يترك بعض المأمورات، ويرتكب بعض المنهيات، أي: من الواجبات

والمحرمات، هذا ظالم لنفسه، مؤمن يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ولكن عنده معاصي، وهذا تحت مشيئة الله إذا لقي الله، الله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ٤٨﴾ [النساء: ٤٨]. وهكذا في قبره هو تحت مشيئة الله عَزَّوَجَلَّ، عنده غيبة، نميمة، كذب، فجور، عنده كبائر، قد يعذبه الله، وقد يعفو عنه، وإذا عذَّبَهُ فمآله إلى الجنة.

القسم الثاني: المقتصد، أي: يقتصر على فعل الواجبات وترك المحرمات، أما فعل المستحبات فلا يهتم بها، ولا يهتم باجتناب المكروهات، كما نرى الحال إذا عرف أحدهم أنه مستحب أو مكروه تساهل، وهذا خطأ، هذا تقصير، ينبغي أن نسابق إلى المستحبات، وأن نجتنب المكروهات، فالدين يشمل المستحبات وترك المكروهات.

المستحبات هي: نوافل العبادة، ومن فوائدها:

أنها كالسياج-أي: كالحاجر-تحمي صاحبها من الوقوع في المحرمات، هذا من فضائل وفوائد نوافل العبادة.

أيضًا نوافل العبادة تتم نقص الأجر الذي يكون في الفريضة، كما في الحديث: «أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَلَاتُهُ، فَإِنْ أَتَمَّهَا كُتِبَتْ لَهُ تَامَّةً، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَتَمَّهَا، قَالَ: انْظُرُوا تَجِدُونَ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ، فَأَكْمِلُوا مَا ضَيَّعَ مِنْ فَرِيضَتِهِ، ثُمَّ الزَّكَاةُ، ثُمَّ تُؤْخَذُ الْأَعْمَالُ عَلَى حَسَبِ ذَلِكَ» (٢).

---

(٢) رواه الإمام أحمد (٣٤/٢٩٣) عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمُرَ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، وهو في «الصحيح المسند» (١٤٧٨) لوالدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

«ثُمَّ تُؤْخَذُ الْأَعْمَالُ عَلَى حَسَبِ ذَلِكَ» أي: أن النافلة تكمل النقص الذي في الفريضة، صلاة الفريضة إذا نقصت عندك فالنوافل والرواتب والضحى وقيام الليل هذه تكمل النقص، والصلاة لا تخلو من نقص وتتم هذا النافلة، النافلة تكمل الفريضة، هذا يدل على أهمية الاهتمام بنوافل العبادة.

ثم قال سُبحَانَهُ: ﴿ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ ﴾ هؤلاء هم الذين يفعلون الواجبات والمستحبات، ويتركون المحرمات والمكروهات.

فهذه ثلاثة أقسام، والقسم الأول ظالم؛ لأنه لم يعمل بعلمه على الوجه المطلوب، فمن علامات العلم الذي لا ينفع الذي استعاذ منه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أن صاحبه لا يعمل به.

وقصة هرقل معروفة أنه ألقى جملة أسئلة على أبي سفيان، ثم قال له هرقل: وَهَذِهِ صِفَةُ النَّبِيِّ، قَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ -أي: في العرب-، وَلَكِنْ لَمْ أَظُنَّ أَنَّهُ مِنْكُمْ، وَإِنْ يَكُ مَا قُلْتَ حَقًّا، فَيُوشِكُ أَنْ يَمْلِكَ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ وَلَوْ أَرْجُو أَنْ أَخْلُصَ إِلَيْهِ، لَتَجَشَّمْتُ لُقِيَّهُ، وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ قَدَمَيْهِ»[٣]، هرقل يخشى من أتباعه والمقربين عنده أن يقتلوه؛ لأنه على عقيدتهم.

«وَلَوْ أَرْجُو أَنْ أَخْلُصَ إِلَيْهِ، لَتَجَشَّمْتُ لُقِيَّهُ، وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ قَدَمَيْهِ»، أي: يكون خادمًا للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، ثم في آخره أمر ذويه بغلق الأبواب، ثم قال لهم: يَا مَعْشَرَ الرُّومِ، هَلْ لَكُمْ فِي الفَلاحِ وَالرُّشْدِ، وَأَنْ يَثْبُتَ مُلْكُكُمْ، فَتُبَايِعُوا هَذَا النَّبِيَّ؟ فَحَاصُوا

(٣) رواه البخاري (٢٩٤٠).

حَيْصَةَ حُمُرِ الوَحْشِ إِلَى الأَبْوَابِ، فَوَجَدُوهَا قَدْ غُلِّقَتْ، فَلَمَّا رَأَى هِرَقْلُ نَفْرَتَهُمْ، وَأَيِسَ مِنَ الإِيمَانِ، قَالَ: رُدُّوهُمْ عَلَيَّ، وَقَالَ: إِنِّي قُلْتُ مَقَالَتِي آنِفًا أَخْتَبِرُ بِهَا شِدَّتَكُمْ عَلَى دِينِكُمْ، فَقَدْ رَأَيْتُ، فَسَجَدُوا لَهُ وَرَضُوا عَنْهُ، فَكَانَ ذَلِكَ آخِرَ شَأْنِ هِرَقْلَ(٤).

«فَحَاصُوا حَيْصَةَ حُمُرِ الوَحْشِ إِلَى الأَبْوَابِ» نفروا نفور الحمر الوحشية، وقد أمر بغلق الأبواب لحكمةٍ حتى يردَّهم إذا أبوا قبول كلامه، فقال لهم: «إِنِّي قُلْتُ مَقَالَتِي آنِفًا أَخْتَبِرُ بِهَا شِدَّتَكُمْ عَلَى دِينِكُمْ، فَقَدْ رَأَيْتُ، فَسَجَدُوا لَهُ وَرَضُوا عَنْهُ».

لم يثبتْ هرقل، وقد علَّق القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «المفهم»(٣/٦٠٧) على هذه القصة، وقال: استمر على كفره، فنعوذ بالله من علم لا ينفع.

ومن ذلك أيضًا في قصة الدجال في «صحيح مسلم»(٥) في شأن الصحابة الذين لعب بهم الموج شهرًا، وفيه أنهم رأوا الجساسة، ودلتهم على الدجال، وقَالَتْ: أَيُّهَا الْقَوْمُ انْطَلِقُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ، فَإِنَّهُ إِلَى خَبَرِكُمْ بِالْأَشْوَاقِ، قَالَ: لَمَّا سَمَّتْ لَنَا رَجُلًا فَرِقْنَا مِنْهَا أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً، قَالَ: فَانْطَلَقْنَا سِرَاعًا، حَتَّى دَخَلْنَا الدَّيْرَ (٦)، فَإِذَا فِيهِ أَعْظَمُ إِنْسَانٍ رَأَيْنَاهُ قَطُّ خَلْقًا، وَأَشَدُّهُ وِثَاقًا، مَجْمُوعَةٌ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ، مَا بَيْنَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى كَعْبَيْهِ بِالْحَدِيدِ. ثم ذكروا الجساسة، وأنه دلتهم عليه، فألقى عليهم أسئلة، ومن ضمنها: «: أَخْبِرُونِي عَنْ نَبِيِّ الْأُمِّيِّينَ مَا فَعَلَ؟ قَالُوا: قَدْ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ وَنَزَلَ يَثْرِبَ، قَالَ: أَقَاتَلَهُ الْعَرَبُ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: كَيْفَ

---

(٤) رواه البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٣) عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، عن أبي سُفْيَانَ بْن حَرْبٍ.

(٥) رواه مسلم (٢٩٤٢).

(٦)«الدَّيْرَ» أي: القصر.

صَنَعَ بِهِمْ؟ فَأَخْبَرْنَاهُ أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ عَلَى مَنْ يَلِيهِ مِنَ الْعَرَبِ وَأَطَاعُوهُ، قَالَ لَهُمْ: قَدْ كَانَ ذَلِكَ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: أَمَا إِنَّ ذَاكَ خَيْرٌ لَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ، وَإِنِّي مُخْبِرُكُمْ عَنِّي، إِنِّي أَنَا الْمَسِيحُ، وَإِنِّي أُوشِكُ أَنْ يُؤْذَنَ لِي فِي الْخُرُوجِ» هذا دليل على فضل مكة والمدينة، وأن المسيح الدجال لا يدخله هاتين البلدتين.

والشاهد: «أَمَا إِنَّ ذَاكَ خَيْرٌ لَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ» نطق بالحق، وهو بعيد عنه كل البعد، فلم ينتفع بما يعلم، والفضل ما شهدت به الأعداء.

وما أكثر ما نخشى على أنفسنا؛ ولهذا والدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: إننا والله نخشى أن الناس يدخلون الجنة، ونحن عند الأبواب أو قد ذُهب بنا إلى كذا وكذا، والعياذ بالله.

العلم النافع هو الذي يهذب الأخلاق والسلوك والأقوال والأفعال، وقد كان الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ في أشد المسابقة والتطبيق لما يتعلمونه، فأحدهم يطبِّق كلام النبي ﷺ، أشد مما يطبق المريضُ العاقلُ كلامَ الطبيب الناصح، وهكذا أتباع الصحابة فمن بعدهم.

وأقتصرُ على مثالَين لذلك:

عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ، عَنْ عُثْمَانَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»، قَالَ: وَأَقْرَأَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ فِي إِمْرَةِ عُثْمَانَ، حَتَّى كَانَ الْحَجَّاجُ قَالَ: وَذَاكَ الَّذِي أَقْعَدَنِي مَقْعَدِي هَذَا. رواه البخاري (٥٠٢٧).

«وَذَاكَ الَّذِي أَقْعَدَنِي مَقْعَدِي هَذَا» يشير أبو عبد الرحمن السلمي التابعي الجليل إلى هذا الحديث، وقد جلس يُقْرِئُ الطلاب سبعين سنة، قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «فضائل

القرآن» (٢٠٧): قالوا: وكان مقدار ذلك الذي مكث يعلم فيه القرآن سبعين سنة، رحمه الله وأثابه، وآتاه ما طلبه ورامه، آمين.

وهذا من العمل بالعلم، تعلم وسمع هذا الترغيب وهذه الفضيلة فجلس يعلم الطلاب، فهنيئًا لهم، أصحاب القرون المفضلة من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين، ومَنْ اقتفى أَثَرَهُمْ، مسابقون إلى الجنة، إلى العلم والعمل.

عَنْ أَبِي جُرَيٍّ جَابِرِ بْنِ سُلَيْمٍ، قَالَ: رَأَيْتُ رَجُلًا يَصْدُرُ النَّاسُ عَنْ رَأْيِهِ، لَا يَقُولُ شَيْئًا إِلَّا صَدَرُوا عَنْهُ، قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ .. الحديث، وفيه: قُلْتُ: اعْهَدْ إِلَيَّ، قَالَ: «لَا تَسُبَّنَّ أَحَدًا» قَالَ: فَمَا سَبَبْتُ بَعْدَهُ حُرًّا، وَلَا عَبْدًا، وَلَا بَعِيرًا، وَلَا شَاةً، قَالَ: «وَلَا تَحْقِرَنَّ شَيْئًا مِنَ الْمَعْرُوفِ، وَأَنْ تُكَلِّمَ أَخَاكَ وَأَنْتَ مُنْبَسِطٌ إِلَيْهِ وَجْهُكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنَ الْمَعْرُوفِ ..» (٧).

وقوله ﷺ: «لَا تَسُبَّنَّ أَحَدًا» هذا شاق على كثيرٍ من الناس أن يمسك لسانه ولا يتلفظ بسبَّة واحدة، لكن هذا الصحابي يقول: «فَمَا سَبَبْتُ بَعْدَهُ حُرًّا، وَلَا عَبْدًا، وَلَا بَعِيرًا، وَلَا شَاةً» عمل مباشرة من غير تردُّدٍ، أو يعمل به فترة من الزمن ثم يترك، كما هو شأن كثيرٍ منَّا إلا من رحِمَ الله.

وأين العمل منا بهذا الأدب الجليل، والخُلُقِ النبيل؟! نسأل الله التوفيق.

---

(٧) رواه أبو داود (٤٠٨٤)، والحديث في «الصحيح المسند» (١٩٦) لوالدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

إن علمًا بغير عمل يكون وبالًا على صاحبه، فلا يأنسَنَّ أحدٌ بالعلم بدون عمل، قال الخطيب في «اقتضاء العلم العمل» (١٤): فَلَا تَأْنَسْ بِالْعَمَلِ مَا دُمْتَ مُسْتَوْحِشًا مِنَ الْعِلْمِ.

وَلَا تَأْنَسْ بِالْعِلْمِ مَا كُنْتَ مُقَصِّرًا فِي الْعَمَلِ، وَلَكِنِ اجْمَعْ بَيْنَهُمَا.

ومن علامات العلم الذي لا ينفع: أن يتعلَّمَ أو يُعَلِّم؛ ليصرف وجوه الناس إليه.

هذا من دسائس النيات، هذا بحر لا ساحل له، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الجواب الكافي» (١٣٥): وَأَمَّا الشِّرْكُ فِي الْإِرَادَاتِ وَالنِّيَّاتِ، فَذَلِكَ الْبَحْرُ الَّذِي لَا سَاحِلَ لَهُ، وَقَلَّ مَنْ يَنْجُو مِنْهُ، مَنْ أَرَادَ بِعَمَلِهِ غَيْرَ وَجْهِ اللَّهِ، وَنَوَى شَيْئًا غَيْرَ التَّقَرُّبِ إِلَيْهِ، وَطَلَبَ الْجَزَاءَ مِنْهُ، فَقَدْ أَشْرَكَ فِي نِيَّتِهِ وَإِرَادَتِهِ.

وَالْإِخْلَاصُ: أَنْ يُخْلِصَ لِلَّهِ فِي أَفْعَالِهِ وَأَقْوَالِهِ وَإِرَادَتِهِ وَنِيَّتِهِ، وَهَذِهِ هِيَ الْحَنِيفِيَّةُ مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ بِهَا عِبَادَهُ كُلَّهُمْ، وَلَا يَقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ غَيْرَهَا، وَهِيَ حَقِيقَةُ الْإِسْلَامِ، ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: ٨٥]. وَهِيَ مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ الَّتِي مَنْ رَغِبَ عَنْهَا فَهُوَ مِنْ أَسَفَهِ السُّفَهَاءِ.

دسائس النيات والإيرادات الفاسدة بحر لا ساحل له، نعوذ بالله من سوء النية، يجهد نفسه، ويخرج ويجلس الساعة أو نحوها، يُعلِّم الدرس بعد الدرس، والموعظة بعد الموعظة، ولا يريد وجه الله، إنما يريد التفافَ الناس حوله، فكيد الشيطان لا ينحصر، قد يأتي من جهة ليست في الحسبان، فتذهب الجهود سدى، تعب من غير فائدة؛ لأنه لا بُدَّ من الإخلاص ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣].

وكما قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الفوائد» (٤٩): الْعَمَل بِغَيْر إخلاص وَلَا اقْتِدَاء كالمسافر يمْلَأ جرابه رملا يثقله وَلَا يَنْفَعهُ.

سافر وما أخذ غذاءَهُ ومتاع السفر، ولكن أخذ في جرابه –وهو: الوعاء–رَمْل، تراب، فما استفاد منه، أتعبه حملُهُ وما استفاد شيئًا، وهكذا الذي يطلب العلم لغير وجه الله عَزَّوَجَلَّ.

ومن علامات العلم الذي لا ينفع: أن يعمل العمل محبةَ ثناءِ الناس وتزكياتهم.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الفوائد»(١٤٩): لَا يجْتَمع الْإِخْلَاص فِي الْقلب ومحبة الْمَدْح وَالثنَاء، والطمع فِيمَا عِنْد النَّاس، إِلَّا كَمَا يجْتَمع المَاء وَالنَّار والضب والحوت، فَإِذا حدثتك نَفسك بِطَلَب الْإِخْلَاص، فَأقبل على الطمع أَوَّلًا فاذبحه بسكين الْيَأْس، وَأَقْبل على الْمَدْح وَالثنَاء فازهد فيهمَا زهد عشّاق الدُّنْيَا فِي الْآخِرَة، فَإِذا استقام لَك ذبح الطمع والزهد فِي الثَّنَاء والمدح سهل عَلَيْك الْإِخْلَاص. اهـ المراد.

ومن ألقى الله له في قلوب الناس فمدحوه وأثنوا عليه، فهذه بشارة له، كما روى مسلم (٢٦٤٢) عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: أَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يَعْمَلُ الْعَمَلَ مِنَ الْخَيْرِ، وَيَحْمَدُهُ النَّاسُ عَلَيْهِ؟ قَالَ: «تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ»[٨].

فإذا عمل لوجه الله لا لثناء الناس، ثم وجدهم يثنون عليه فليقرَّ عينًا بذلك؛ لأن هذه بشارة عاجلة له[٩]، والنبي ﷺ يقول: أنتم شهداء الله في أرضه.

---

(٨)قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح هذا الحديث: قَالَ الْعُلَمَاءُ: مَعْنَاهُ هَذِهِ الْبُشْرَى الْمُعَجَّلَةُ لَهُ بِالْخَيْرِ، وَهِيَ دَلِيلٌ عَلَى رِضَاءِ اللَّهِ تَعَالَى عَنْهُ وَمَحَبَّتِهِ لَهُ، فَيُحَبِّبُهُ إِلَى الْخَلْقِ كَمَا سَبَقَ فِي الْحَدِيثِ «ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ»، هَذَا كُلُّهُ إِذَا حَمِدَهُ النَّاسُ مِنْ غَيْرِ تَعَرُّضٍ مِنْهُ لِحَمْدِهِمْ، وَإِلَّا فَالتَّعَرُّضُ مَذْمُومٌ.

وقد عدَّ ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ من علامات أهل العلم النافع: أنهم لا يرون لأنفسهم حالًا ولا مقامًا، ويكرهون بقلوبهم التزكية والمدح، ولا يتكبرون على أحد.

ومن علامات العلم الذي لا ينفع: أن صاحبه لا يجد بركةَ علمه، يعني: لا يجد بركة علمه في العمل، وبركة الأوقات، وبركة في التنافس في الخير، فهذا من علامات العلم الذي لا ينفع، ومن الأدعية النبوية «وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ»(١٠)، فينبغي أن ندعُوَ الله بالبركة.

قال الشيخ ابن عثيمين في «شرح بلوغ المرام»(٢/ ١٣٤): أي: أنزل البركة لي فيما أعطيتَ، من علم وولد ومال وغير ذلك مما أعطى الله؛ لأن الله تعالى إذا أنزل البركة في شيء سدَّ ما يسده غيره بأضعاف مضاعفة، وإذا نُزِعت البركة من شيءٍ فإنه أسرع ما يزول ولا ينتفع به الإنسان. ثم قال: البركة في العلم:

أن الله يوسِّعُ العلم للإنسان.

---

(٩) قال ابن رجب في «جامع العلوم والحكم»(٨٤): فأمَّا إذا عَمِلَ العملَ لله خالصًا، ثم ألقى الله لهُ الثَّناء الحسنَ في قُلوبِ المؤمنين بذلك، ففرح بفضل الله ورحمته، واستبشرَ بذلك، لم يضرَّه ذلك.

وقال تعالى: ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ ﴾ [آل عمران].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تفسير سورة آل عمران»(رقم الآية ١٨٨): دلت الآية بمفهومها على أن من أحب أن يحمد ويثنى عليه بما فعله من الخير واتباع الحق، إذا لم يكن قصده بذلك الرياء والسمعة، أنه غير مذموم، بل هذا من الأمور المطلوبة، التي أخبر الله أنه يجزي بها المحسنين له الأعمال والأقوال، وأنه جازى بها خواص خلقه، وسألوها منه، كما قال إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾، وقد قال عباد الرحمن: ﴿ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ ﴾، وهي من نعم الباري على عبده، ومننه التي تحتاج إلى الشكر.

(١٠) رواه الإمام أحمد (١٧٢٣) عن حَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ، وهو في «الصحيح المسند» (٣٠٨) لوالدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

ويوسع انتشار العلم على يديه.

ويجعله عاملًا بعلمه، كل هذا من بركة العلم.

فالعلامة الأُولى التي ذكرها الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أن يجد علمه يتوسع، كل يوم يشعر أنه يستفيد وأنه يزداد علمًا. وبفضل الله أهل السنة كلَّ يوم وهم يزدادون علمًا ونورًا، بخلاف أهل الأهواء والبدع والحزبيات؛ فإنهم يزدادون جهلًا وظلمة وشقاوة وتخبُّطات، فإذًا من بركة العلم أن علمه يتوسع، صار يفقه هذه المسألة ويعرف دليلها، ويفقه هذه الأحاديث، ويحفظ، ويعرف أقوال السلف وآثارهم، يجد علمه في نماء وزيادة، هذا من بركة العلم النافع.

والثانية: أنه يجد أن علمه ينتشر بين الناس، هذا من علامة بركة العلم، هذه علامة أن الله جعل له القبول؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ هو الذي يُقبل بقلوب العباد على هذا الشخص ومنشوراته وتأليفاته، وهذا شيء بيد الله سُبحَانَهُ، فهو الخافض، الرافع، وهو المعز، المذل.

الثالثة: أن يكون بعلمه عاملًا، وهذا الأخير يتعلق بالعمل بالعلم، العمل بالعلم من علامات العلم النافع.

ومن علامات العلم الذي لا ينفع: أن صاحبه يكون عنده زهو وفخر وكبر، يُعجب بعلمه، يعجب بذكائه، يعجب بفهمه، ويفخر بما آتاه الله، يفخر بما أعطاه الله عَزَّوَجَلَّ من الأموال والأولاد، قال الله تَعَالَى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [القصص: ٨٣].

قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «فضل علم السلف على الخلف»(٨٠): وعلامة هذا العلم الذي لا ينفع، أن يكسب صاحبه الزهو والفخر والخيلاء، وطلب العلو، والرفعة في الدنيا.

وقال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الكبائر» (١٩٧): وأشر الكبر الذي فيه من يتكبر على العباد بعلمه ويتعاظم في نفسه بفضيلته؛ فإن هذا لم ينفعه علمه.

فإن من طلب العلم للآخرة كسره علمُه، وخشع قلبه، واستكانت نفسه، وكان على نفسه بالمرصاد، فلا يفتر عنها، بل يحاسبها كل وقت ويتفقدها.

فإن غفل عنها جَمحت عن الطريق المستقيم وأهلكته.

ومن طلب العلم للفخر والرياسة، وبطر على المسلمين، وتحامق عليهم و ازدراهم، فهذا من أكبر الكِبْرِ، ولا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، و لا حول و لا قوة إلا بالله الْعلي الْعَظِيم.

ومن علامات العلم الذي لا ينفع: أنه كلما ازداد علمًا ازداد حبًّا للدنيا، يفقد خلق القناعة، وكلما ازداد الانسان الدخول في السن إلا من رحم الله ازداد حبًّا للدنيا، روى مسلم (١٠٤٦)عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «قَلْبُ الشَّيْخِ شَابٌّ عَلَى حُبِّ اثْنَتَيْنِ: طُولُ الْحَيَاةِ، وَحُبُّ الْمَالِ».

يعني: صار هرمًا كبيرًا ضعيفًا، لكن قلبه قوي شابٌّ في محبة الدنيا وطول الأمل، والقليل من يسلم من ذلك، والمعصوم من عصم الله، ورُزِقَ كنز القناعة.

وربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول محذرًا من فتنة الدنيا، وأنها من سبب الانحراف: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ ۖ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾ [الأعراف: ١٧٥-١٧٦].

وروى الإمام الدارمي في مقدمة «سننه» (٤٠٠) عن سفيان-وهو: الثوري-يقول: ما ازداد عبدٌ علمًا فازداد في الدنيا رغبة، إلا ازداد من الله بعدًا. الأثر صحيح.

ومن علامات العلم الذي لا ينفع: دعوى العلم، فمن ادَّعى لنفسِهِ العلم فهو جاهل؛ لم ينتفع بعلمِهِ.

وقد ذكر ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «فضل علم السلف» عكسه من علامات العلم النافع، وقال: ومن علامات العلم النافع أن صاحبه لا يدعي العلم، ولا يفخر به على أحد، ولا ينسب غيره إلى الجهل، إلا من خالف السنة وأهلها، فإنه يتكلم فيه غضبًا للَّه، لا غضبًا لنفسه ولا قصدًا لرفعتها على أحد.

وأما من علمه غير نافع، فليس له شغل سوى التكبر بعلمه على الناس، وإظهار فضل علمه عليهم، ونسبتهم إلى الجهل وتَنَقُّصهم؛ ليرتفع بذلك عليهم، وهذا من أقبح الخصال وأرداها. اهـ.

وقد عتب الله على نبيه موسى لمَّا ذَكَّرَ النَّاسَ يَوْمًا حَتَّى إِذَا فاضَتِ العُيُونُ ورَقَّتِ القُلُوبُ ولَّى، فأدْرَكَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: أيْ: رسولَ الله، هَلْ فِي الأرْضِ أحَدٌ أعْلَمُ مِنْكَ؟ قَالَ: لا، فَعَتَبَ الله عَلَيْهِ إذْ لَمْ يَرُدَّ العِلْمَ إِلَى الله، قِيلَ: بَلَى، قَالَ: أيْ رَبِّ، فأيْنَ؟ قَالَ: بِمَجْمَعِ البَحْرَيْنِ.. الحديث.

عتب الله على نبيه موسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ هذا؛ إذ لم يَرد العلم إليه، مع أنه نبي أنزل الله عليه التوراة، واصطفاه بكلامه ورسالاته.

ومن علامات العلم الذي لا ينفع: الطعن في الشيخين أبي بكر وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

قال الذهبي في «ميزان الاعتدال»(٢/ ٦٠٠): عبد الرحمن بن يوسف بن خراش الحافظ.

قال عبدان: كان يوصل المراسيل.

وقال ابن عدي: كان يتشيع.

وقال أبو زرعة: محمد بن يوسف الحافظ كان خرج مثالب الشيخين، وكان رافضيا.

وقال عبدان: قلت لابن خراش حديث: لا نورث، ما تركناه صدقة! قال: باطل.

قلت: من تتهم به؟ قال: مالك بن أوس.

قلت: لعل هذا بدأ منه، وهو شاب؛ فإني رأيته ذكر مالك بن أوس بن الحدثان في تاريخ، فقال: ثقة.

قال عبدان: وحمل ابن خراش إلى بندار عندنا جزأين، وصنعهما في مثالب الشيخين، فأجازه بألفي درهم.

قلت: هذا والله الشيخ المعثَّر الذي ضل سعيه، فإنه كان حافظ زمانه، وله الرحلة الواسعة، والاطلاع الكثير والاحاطة، وبعد هذا فما انتفع بعلمه، فلا عتب على حمير الرافضة..

وقال الذهبي في «تذكرة الحفاظ»(٢/١٨٥)في ترجمته: جهلة الرافضة لم يدروا الحديث ولا السيرة ولا كيف ثَمَّ! فأما أنت أيها الحافظ البارع الذي شربت بولَك إن صدقتَ في الترحال، فما عذرك عند الله مع خبرتك بالأمور؟ فأنت زنديق معاند للحق، فلا رضي الله عنك.

فلنحرص جميعًا على أن يكون علمُنا نافعًا؛ ليكون نورًا لنا وبصيرة، فالعلم ما نَفَعَ، ليس العلم ما حُفِظ، أما من كانت تطلب العلم وتتعلم وتحفظ، ولكن لا يكاد يكون هناك فرق بينها وبين العاميَّات الجاهلات، فأنَّى لها أن تنبغ في العلم، وأن يكون علمها نافعًا؟

وقد كان من سلفنا الصالح أحدهم لو قيل له: إن ملك الموت ببابك ما كان عنده زيادة على العمل.

وقد علق الإمام الذهبي على قول عبد الله بن وهب: نَذَرتُ أَنِّي كُلَّمَا اغْتَبْتُ إِنْسَانًا أَنْ أَصُوْمَ يَوْمًا، فَأَجْهَدَنِي، فَكُنْتُ أَغْتَابُ وَأَصُوْمُ، فَنَوَيْتُ أَنِّي كُلَمَّا اغْتَبتُ إِنْسَانًا، أَنْ أَتَصَدَّقَ بِدِرْهَمٍ، فَمِنْ حُبِّ الدَّرَاهِمِ تَرَكتُ الغِيْبَةَ (١١).

---

(١١) الأثر أخرجه ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا حَرْمَلَةُ، سَمِعْتُ ابْنَ وَهْبٍ، به. كما في ترجمة عبد الله بن وهب من «سير أعلام النبلاء» (٩/٢٢٨). هذا أثرٌ حسن؛ من أجل حَرْمَلَة وهو: ابن يَحيى بن حَرملة أبو حفص التُّجِيبيُّ، المِصْريُّ، صاحبُ الشَّافعيِّ: صدوقٌ.

علق عليه الإمام الذهبي، وقال: قُلْتُ: هَكَذَا -وَاللهِ- كَانَ العُلَمَاءُ، وَهَذَا هُوَ ثَمَرَةُ العِلْمِ النَّافِعِ.

أسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يرزقنا علمًا نافعًا، وأن يجعل عملنا متقبلًا.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَقَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَدُعَاءٍ لَا يُسْمَعُ، وَنَفْسٍ لَا تَشْبَعُ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ هَؤُلَاءِ الْأَرْبَعِ.

والحمد لله رب العالمين.

تم نشر هذه الكلمة ولله الحمد والمنة.

يوم الأحد الموافق ٢٠/ من شهر شعبان/ لعام ١٤٤٤ للهجرة النبوية

على صاحبها الصلاة والسلام.